جمالية الصورة عند الشاعرة العربية

د. تغريد عدنان محمود الربيعي

جامعة بغداد / كلية التربية - ابن الهيثم للعلوم الصرفة

ملخص البحث

إن سمة الشاعرية للمرأة دليل على حضورها في ساحة الشعر العربي ، وعلى مقدرتها الفنية في قول الشعر ، منحها الله لافراد من عباده فالعرب امة – رجالا ونساء – عُرفت بالشعر وهو فن ابدعت وتفوقت فيه .

والشعر عالم غني بالصور التي تموج بالحركة عن طريق الكلمة والرمز والإيقاع ، وهو بدوره يعتمد على الخيال بدلالة الألفاظ وشحنها بمعان جديدة وإيحاءات مؤثرة وبليغة يروم الى اكتشاف علاقات جديدة تـُدرك بالشعور والاحساس .

إن البحث في جماليات الصورة الشعرية تنم عن ذوق أدبي رفيع لدى شواعر القصيدة العربية في تعاملهن مع هذه الاساليب البيانية وعلاقتها بالذات المبدعة ومحاولة ربطها بالأنفعال والمشاعر والمواقف النفسية للمرأة . تكمن جمالية الصورة عند الشاعرة انها فطرية تغلب عليها طابع الحياة العربية بقيمها ومثلها ، فهو شعر مطبوع ينأى عن الصنعة والتكلف ، فجاءت معانيها معبرة أفضل تعبير .

وبحثنا هذا محاولة اكتشاف العناصر الجمالية عند الشاعرة العربية حين وجّهت شعرها في قسمين ، قسم وصفت فيه الرجل وصفا معنويا عندما جعلت صورته مثالا لجماله الخـُلقي ، وقسم آخر أفصحت فيه المرأة جانبا من حياتها الخاصة ، فقد استمدت أفكارها ومعانيها من طابعها الخاص بصور ذي إيحاءات معبرة من طبيعة المرأة نفسها .

وقد استوحت المرأة مصادر صورها من البيئة العربية فالشاعرة متأثرة ببيئتها أشد تاثير في اقتباس هذه المعاني والأفكار في ألفاظ وتراكيب تتمثل في صور الطبيعة الصامتة والمتحركة . وجاءت الصور انواعا والوانا منها ، الحسية والذهنية التي تقوم على التشخيص والتشبيه والاستعارة والكناية . يرسمها اللون والحركة والصوت واللمس والبصر ، وقد تكون جزئية وقد تكون متكاملة تستقي الشاعرة مضمونها من المضمون الانساني ، ومن المضمون الديني .

إذن الصورة الشعرية – التعبيرية – ترجمان صادق ودقيق عمّا يجري في أعماق الشاعرة من خلجات وخواطر تبرز بحـُلّة جديدة فهي أصيلة مألوفة ومستساغة مؤثرة .

الصورة الشعرية

يميل الانسان بطبيعته الى التصوير – ابراز الصورة بشكل فني – فيجنح الى الخيال ، وحتى تكون الصورة حية في النص الشعري ولها تأثير فاعل ، لابد من خيال يخرجها من التقرير والمباشرة، فهو الذي يحلق بالقارئ في آفاق واسعة ويشكل له عالم جديد غير مرئي .

غير ان كل صورة لا تظهر الا على اساس من التعبير المجازي الذي يُحدث تشويقا خلال عملية ربط الدلالات بين الدال والمدلول والحقيقة والخيال ، وعليه يمكن القول : إن التعبير بالصور " هي لغة الشاعر التلقائية " [1] ، بالفاظ وتعبيرات موحية تنبثق من إحساس عميق وشعور قوي تجاه المتلقي ، فيعمد الشاعر الى اجزائها وتناسقها لينشد من خلالها صورة حية مستوحاة من الواقع البيئي (المحسوس) غالبا ، وكل ما وقع تحت سمعه وبصره من مناظر وتجارب [2] .

فالصورة في العملية الابداعية اذن " تذكر واعٍ أو استرجاع لمدرك حسي أو خبرة ذهنية ومن اعمال الذهن القيام بالتصورات ومقارنة الاشياء ثم ربطها وترتيبها ، والعلاقات بين الموضوعات والاشياء تكون علاقات متحدة مع العقل " [3] . فتشكيل الصورة يمر عبر مراحل متعددة ومنتظمة مصدرها الاساس الواقع المحسوس، أي كل مايدرك باحدى الحواس ، فيلتقط الشاعر صوره برؤية حسية ويختزنها في مخيلته سلبية كانت أم ايجابية ليعيد توظيفها من جديد وصياغتها في مواقف أخرى فيعمل على تكوين حالة من التلاحم والانسجام أو التضاد بين المألوف وغير المألوف ، فتخرج صورة فنية انيقة ومعبرة " تمتاز بالمهارة في البناء والدقة في الصياغة عن وعي متيقظ وارادة هادفة " [4] ، تثير المتلقي وتخلق حالة من الاغراب والدهشة.

وتنبعث أهمية التصوير كونه " الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة " [5] ، وعليه تكون الصورة واسطة الشعر وجوهره ، وكل قصيدة هي بناء متكامل منتظم في داخلها وحدات متعددة – اجزاء – تشكل مع بعضها صورة كلية للعمل الفني المبدع المتميز . كما ينبغي لنا أن ننظر الى الصورة من خلال عصرها وحضارتها ، ومن خلال مبدعها – المرأة – وظروف حياتها ، وعلينا كذلك ألا نحمّل النصوص الشعرية أكثر مما تطيق ، لان سر نجاح العمل الفني أن ينطلق من النص نفسه وادواته الفنية . أي ان جمالية النص تعكس جمالية الشاعر نفسه ، ومقدرته على نقل تجربته وعاطفته الى المتلقي ، لاسيما اذا علمنا ان المرأة لها أدواتها الخاصة ووسائلها التعبيرية ، التي تقذف في الذهن الدلالة العاطفية ، فضلا عن الصورة الانثوية نحو إثارة المتعة والطرافة أو الحزن والأسى كونهما من طبيعة المرأة .

مصادر التصوير

الإنسان ابن بيئته والمرأة العربية بنت الصحراء ومجتمع القبيلة ، ولابد ان تكون المرأة في مثلها وقيمها نتاج هذه البيئة ، فقد ادركت الشواعر عموما خاصية انتقاء الالفاظ المعبرة المستمدة من واقع حياتها ، فصورها التعبيرية ترجمان صادق ودقيق عما يجري في اعماقهن من خلجات وخواطر ، تبرز مكسوة بحلة جميلة من الطبيعة ذي عبير خاص فهي اصيل متفردة مالوفة مستساغة مؤثرة .

تعد **الطبيعة** مصدرا مهما من مصادر الصورة الشعرية ، الا ان ما نجده في الشعر ليس صورة للطبيعة كما هي ، انما كما تخيلها الشاعر متأثرا بعاطفته وانفعاله بها انعكست في نفسيته متلونة باسلوب حياته وشخصيته ؛ لذا حين تتحرك مخيلة الشاعرة للتصوير تمتاح صورها من مصدر ما ، فقد كانت الطبيعة مصدرا مشتركا للشعراء – رجالا ونساء– يستمدون منها صورهم الشعرية وهذا لا يعني تطابق الصور ، لانها من مصدر واحد ، فالصور تمر عبر مخيلاتهم يصوغونها ويخرجونها حسب تصورهم للاشياء .

فحين يقف الانسان أمام الطبيعة ينظر الى موادها ومناظرها وينفعل بها فتثير في نفسه عواطف شتى ، يسر ويرتاح حين ينظر الى السهول الخضراء ، ويغتم وينقبض حين يشهد الارض المقفرة المجدبة ، ويشعر بالروع والاكبار حين يرى الجبال الشامخة والبحر الهادر ، ويذعر من ظلام الليل ، ويفزع من القوى الطبيعية الجبارة من عاصفة وسيل ورعد وبرق . كل مظاهر الطبيعة تعكس في نفس الفنان عواطفا متباينة فيحاول ان ينفس عن افعاله هذا بالخوف أو الاطمئنان أو السرور أو الاجلال أو الحب أو الكراهية [6] .

ان الصور التي تـُتخذ من الطبيعة مصدرا لها ، فتنهل من مظاهرها المتعددة ، هي استمرار الى فاعليتها وحيويتها ، وفي الوقت نفسه استمرار لمظاهر الطبيعة أنفسها . فليس ثمـّة شاعرة لم تستلهم من الطبيعة صورها واغلبها جاءت مواءمة لطبيعة حياتها جسدتها في الرجل المثالي . فالشعر قبل ان يكون مرآة للمجتمع هو مرآة للشاعرة نفسها . وشعر المرأة له خصائص تميزه من شعر الرجل ، فهو يحمل طابع تفكير المرأة ، فكل ما يحيط بواقعها وبشخصيتها ما يؤكد ان المرأة بحاجة الى رجل يتمتع بصفات الفتوة العربية " فالمرأة حين تعشق البطولة فهي أنثى كاملة الانوثة في طبيعة مشاعرها وعواطفها ، فهذا من أخص صفات الانوثة ، لان الانوثة رقة وكمال الانوثة غاية الرقة ، كما ان كمال الرجولة هو البطولة ، فكل منهما يكمل الآخر وإذن فبمقدار ما تحمل المرأة من رقة الانوثة تتطلع الى هذا القدر من الرجولة ليكون تعويضا وتكميلا لها " [7] ، ليس هذا فحسب انما هي من متطلبات الحياة والمجتمع العربي ، يؤازرها وتتقوى به على مصاعب الحياة .

فلو تتبعنا منهج المرأة في الشعر لوجدنا انه يغلب عليه الاعتماد على التصوير الواقعي الذي يبحث عن صورة جمالية الرجل (جماله المعنوي) استمدت افكارها من مظاهر الطبيعة – الحية والجامدة – لاثرها الفني ، فضلا عن تاثيرها النفسي كونها تعبر عن احتياجات المجتمع الى مثل تلك الصفات وتاكيدها ، تقول عمرة بنت مرداس في أبيها وكان يسمى الفيض من سخائه ، كأنه فيض البحر :

والفيضُ فينا شهابٌ يـُستضَاءُ به ِ إنـّا كذلك فينا يوجَـــدُ الشُّـــهبُ [8]

واختيار الشاعرة للجبل اختيار مقصود ، لان الجبل يوحي بالقوة والصلابة والثبات ، فهي تصور او تنقل معاناتها بعد ان انهد الجبل الشامخ فتعكس في المتلقي حالها ، وتصور حجم المعاناة التي تعيشها ، تقول خولة بنت ثابت :

أُبكي على فـتيـــةٍ رُزِئتـُهـُم كانــوا جـِبالي فأهَـــنوا عَضُـــدي
كانوا جمـــالي ونُصرتي وبهـــم أمنـــعُ ضيمـــي وكلَّ مُضّـطـــهـدِ [9]

وتجمع الشاعرة بين صفتي أو أكثر معبرة عن هول المصيبة التي حلت بها حين فقدت هذا الرجل الذي كان يوفر لها الحماية ويذبّ عنها وقت الشدة والحرب ، فهي تعكس حالها وألم حزنها ليس على الشخص نفسه فحسب ، وانما لكونه مصدراورمزا لمجد الاسرة والقبيلة وقد انهار هذا المجد بموته ، تقول الخنساء :

قد كان حِصناً شَـديدَ الرُّكـن مُمتنِعاً ليثـاً إذا نزلَ الفـــتيانُ أو رَكِـبـــوا [10]

واستعانت الشاعرة بالحيوان في رسم كثير من صورها التقطت بعضها من صفاته ، وبعضها الآخر من احواله انعكست في الرجل نظرا لطبيعة الحياة التي عاشتها المرأة والتي كانت من متطلباتها القوة والحفاظ على حياة المرأة ، ترسم صفية بنت ثعلبة صورة للفارس الذي قدم المساعدة ، فهو كالليث الذي اكتسح هذه العاصفة الهوجاء لتحقيق النصر تقول:

كليثِ غاباتٍ مَهُـــوسٍ مُخْـدِرِ يا فارساً تحت العَجَـــاجِ الأكدرِ [11]

وتفخر أروى بنت الحارث بسيد الشهداء حمزة والامام علي (عليهما السلام) فقوتهما وشجاعتهما معا كقوة الليث والصقر ، تقول :

بكـلِّ قـطاعٍ حـُســـامٍ يفـــري حمـــزةٌ ليثي وعـليٌ صقـــري [12]

وإذا ارادت الشاعرة ان تجسد معنى من المعاني ، مثل الوفاء وعدم الغدر ، رسمت صورة معبرة من واقع البيئة العربية ، وهي صورة الذئب الذي يغدر بصاحبه ان سال دمه ، فزينب بنت الطثرية تنفي هذا الفعل القبيح عن أخيها ، تقول :

فتـــى ليسَ لابنِ العمِّ كالذئبِ ان رأى بصاحبـــه يومـــا دمـــاً فهـــو آكـِـــله [13]

أما إذا أرادت الشاعرة البوح عن مكنوناتها النفسية وتجربتها الشعورية الخاصة وتعبر عن معنى الوحدة بعد فقد الأب أو الزوج ، فتفصح عن حالتها وشكايتها من الزمان بالفاظ ذي ايحاءات خاصة ، استمدت أفكارها ومعانيها من طابعها الخاص ، لتعطي نوعا من الاشارة الى وضع المرأة في المجتمع العربي فقد شبّهت زينب اليشكرية نفسها بالظبي الذي ضل عن اصحابه الذين كان يأنس بهم ، تقول :

أراني كـــسربٍ حِـــيلَ عنه أليفــهُ قَــوافِـــزُه في مَهْمَـــهِ الخـَبتِ ضَلـــّتِ [14]

ووظفن الشواعر بعض مظاهر الطبيعة ، مثل : الليل والنهار ، والشمس والهلال ، والرياح والشتاء وغير ذلك جسدتها في تعابير ذي دلالات موحية أسبغتها صورة فنية جمالية للرجل باساليب بلاغية تعبيرية ، تقول الشاعرة جنوب في اخيها تمدحه من خلال رثاء :

فكـنتَ النهـــارَ به شَـمْسَـــهُ وكـــنتَ دُجـى الليلِ فيـــه الهـِلالا
لقد عَلِمَ الضّـــيفُ والمُغـبـِرونَ إذا اغـــبرّ أفـــقٌ وهـَـــبـّت شَمَـالا
بانك ربـــيـــعٌ وغَـــيثٌ مَريـــعٌ وانك هـــناك تـكـــونُ الثـّمـــــالا [15]

فالصورة الفنية التي نتلمس نتوءها المرسوم بالكلمات تتضافر عناصرها في هذه الأبيات ، فالشاعرة تضعنا امام صورة مقابلة للكرم حتى تحولت عندها صورة أخيها الى شمس في وضح النهار، وهلال في الظلام . والى ربيع وخصب يواجه أشهر القحط ، ولهذا كان واجهة وحماية ونور يهتدون به ويستظل الفقراء والمعوزون أيام القحط والجدب ، ومن هنا صار أخوها – الراعي – حياة تمد الارض بالخصب والعطاء .

عناصر التصوير

<u>الخيال</u>

للخيال دور مهم في عملية التشكيل الشعري يبرز واضحا من خلال الصورة الشعرية التي تعد تعبيرا فكريا ونفسيا عن التجربة الشعورية . فالخيال الشعري نشاط خلاق لا يستهدف ان يكون ما يشكله من صور نسخا أو نقلا لعالم الواقع بقدر ما يستهدف ان يدفع المتلقي إلى اعادة التأمل في واقعه وقدرته في تعميق الوعي [16].

إذن هو العنصر الاول والاساس في بناء الصورة الشعرية ، وهو" الملكة التي تخلق وتبث الصور الشعرية"[17] . فإذا نحن انعمنا النظر في التعاريف السابقة نجد ان اهمية الخيال تبرز في ان له القدرة على تصوير – نقل – الاشياء المتعارف عليها تصويرا جديدا ، ويبني عالما متميزا في جدته وتركيبه ، أي انه يجمع بين الاشياء المتنافرة في علاقات جديدة تذيب التنافر والتباعد وتخلق حالة من الانسجام والتآلف والوحدة لتعطي صورا اكثر صدقا برؤية قوية لحقائق التجربة الانسانية ، فاصطلاح

الخيال هو " ان يرى الفنان حقائق الوجود بدرجة من الوضوح والجدة والصفاء أكبر مما توجد عليه في الطبيعة أو اكبر مما يستطيع الناس العاديون ان يروها " [18] ، ومن ذلك قول الخنساء ترثي أخاها:

وانَّ صَخراً لتأتَـــــمُّ الهـُـــداة ُبه كأنّه عـَلـَـــمٌ في رأسِـــهِ نارُ [19]

لقد اختزنت مخيلة الشاعرة صورة النار عندما تتوقد ، إذ إنها تكون في قمة الشيء واعلاها يهتدي الناس بها في الظلام ، فشبهت أخاها بقمة الجبل لعلوه وشموخه مثل النار التي تعلو رأس كل شيء ، وما ذلك الا تعبير عن الهداية والمكانة العالية .

وفي شعر الرثاء نلمح في بعض الصور خيالا يلتقط العلاقات المرهفة والانسانية بين الاشياء ويصورها تصويرا يفيض بالعاطفة الصادقة ، كما يبدو ذلك في قول صفية الباهلية :

كُنا كـَـغُـصنين في جُرثومـــةٍ سَمَـقا حيناً بأحســـنَ ما تسمـــو له الشّجـرُ
حتى إذا قـــيلَ قـد طالـتْ فـُروعُهُما فـــطاب فيآهـما واستـُنظـــرَ الثمَرُ
أخنى على واحـدي رَيْبُ الزّمانَ وما يـــُبـــقي الزمانُ على شَـــيءٍ ولا يذرُ [20]

كان خيال الشاعرة قد اختزن صورة الشجرة الكثيفة الاغصان والكثيرة الفروع وحاجة الانسان الى ان يستظل بها ، ويستلذ بثمرها الناضج . وعندما ادركت الشاعرة حاجتها الى اخيها ، وان هذا الاخ هو السند والعزة لها شبهت نفسها واخيها كغصنين في أصل واحد طالا باحسن ما تطول له الشجر التقط خيالها هذه العلاقة فرسمت في هذه الصورة البديعية التي تكاد تشكل لوحة فنية بالوانها وظلالها ، امرأة تنظر الى شجرة باسقة وارفة الظلال متشابكة الاغصان ومتلاحمة ، ترى غصنا انفصل عنها ، وترك فراغا بين هذه الغصون عكست هذه المناظر في نفسيتها وشعورها صورة جسدتها باحساس صادق يفيض بالعاطفة ، فالزمان لا يبقى شيء على حاله متقلب يأخذ من يشاء ويترك من يشاء فانفصال فرع من فروعها هو انفصال الروح عن جسدها .

العاطفـــــة

إن مجال الشعر هو الاحساس والشعور الذي يعبر عن تجربة ذاتية تكشف جانباً من جوانب النفس البشرية " فاثارة الشعور والاحساس مقدمة في الشعر على اثارة الفكر " [21] . ومن هنا كانت العاطفة عنصرا اساسيا آخر لفاعلية الصورة وحيويتها ، قيل : " الصورة الشعرية رسم قوامه الكلمات المشحونة بالاحساس والعاطفة " [22] ، و " ان قوة الصورة تكمن في إثارة عواطفنا واستجابتنا للعاطفة الشعرية " [23] .

وللعمل الفني تأثير عاطفي في نفس المبدع ، وفي المتلقي ايضاً ، فالقارئ يجد متعة وسرعة استجابة للموقف المتشابه ، أي شعوره عندما يقرأ النص الفني يعبر عما يـُخيل إليه انه يشعر بما يشبهه له . ويزيد من قدرته وفهمه للتجارب الانسانية الحقيقية فجودة العمل الفني له علاقة بما نشعر

من الرضا العاطفي حين نقرأه فالشعر مرآة لاحاسيس صاحبه الذي يهمنا هو ان نعرف أعاطفة الشاعرة كانت مخلصة أم متكلفة ضمن سياقها الاجتماعي ؟ فالصدق في الشعر هو صدق الشاعرة ولا ارى حديثا اصدق من قول المرأة في التعبير عن عواطفها وتجاربها وحقيقة الانفعالات الانسانية التي تجول بخاطرها .

وتبرز أهمية العاطفة في كونها تجعل الخيال أكثر نشاطا وحيوية وتمنحه قدرة على استجلاء الصورة ونفاذها الى المتلقي لتحقيق سرعة الاستجابة والتفاعل مع المبدع ، فالصورة لا قيمة لها من دون خيال مشحون بالعاطفة فـــــــــ " العاطفة بدون صورة عمياء ، والصورة بدون عاطفة فارغة " [24] ، أي ان العاطفة الصادقة لا بد ان تكون نابعة من اعماق الانسان يُظهرها بعفوية ومن دون تكلف. وفي شعر المرأة جاءت الصور مفعمة بالاحساس ، منبثقة من اعماق الذات وبذلك حققت عنصرا مهما من عناصر فاعلية الصورة وحيويتها .

وعندما نقرأ لأم البراء بنت صفوان :

يااللرّجالِ لعـظـمِ هــَـولٍ مُصيبـــةٍ فدَحـــت فليـس مُصَابُهـا بالهازلِ
الشّمـسُ كاسِـفـــةٌ لفـقـــد إمامِـنا خيرِ الـــخلائق والإمـــامِ العـــادلِ
يا خيرَ من رَكِبَ المطيَّ ومن مشَى فـــوقَ التراب لمـُحتفٍ أو ناعِـلِ
حاشـا النبـــيّ لقد هـدَدْتَ قـُـواعَنا فالحـــقُّ أصبـــحَ خاضـعاً للباطـــلِ [25]

نحس بالعاطفة تفيض من بين الكلمات ، فقد رسمت الشاعرة صورة معبرة عن حزنها لفقد الامام مفعمة بالعاطفة المنبثقة من اغوار النفس امتزجت بذاتها فتحركت لها الاعماق ، فلها القدرة على النفاذ في المتلقي والتأثير به ، والابيات تشدك بعضها ببعض كأنها ليست لحقبة زمنية انما يستمر سلطانها عبر العصور فتجلت صورة جلال الرزء وفداحة المصاب الذي حلّ بهم بعد فقد الامام ، فالنور الذي كان يملأ الارض قد غاب بموت الامام ، وقد لجأت الشاعرة الى التأثير عن طريق تفجير اللفظ ، فوظفت الفاظا وتراكيبا تخلع القلب حزنا وهولا (هول مصيبة ، الشمس كاسفة ، هددت قواعنا) فابياتها تبلغ اثارة العاطفة وحدتها وبيان حالة الجزع لفراق خير انسان على وجه الارض بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي ادراكها ما يتكبده المسلمون من خسارة لفقد الامام تلك الخسارة التي أصبح الحق فيه خاضعا للباطل ، كل هذا الاحساس لم ينبع صدفة أو اعتباطا ، انما افصحت عنه في البيت الثاني (خير الخلائق والامام العادل) ، قدمت الشاعر صورة صادقة ليس لمعاناتها وحدها ، انما معاناة الامة الاسلامية من خلال توظيفها لضمير المتكلم ، فالابيات تعبر عن عاطفة صادقة ودقة في التصوير .

وسائل التصوير

إن للصورة الشعرية دوراً في عملية الخلق الشعري ، ولا يتحقق ذلك من دون اللجوء الى وسائل خاصة ومنها المجاز لان " كل صورة شعرية هي الى حد ما مجازية " [26] ، الذي يميل بطبعه الى الغموض والخروج عن المألوف ، والذي يقدم العمل الفني بصورة مبنية على التشابه والتضاد ، فالشعر " لغة تلميح وإشارة وترميز ، لا لغة تقرير وتصريح " [27] .

كما ان مقياس جمالية الصورة وجودتها في الشعر لا يرجع الى ما فيها من صور بيانية فحسب ، انما الى ما فيها من افكار واشارات اقتبستها المرأة من واقع حياتها وعكستها في اشعارها . فاعتنت بها عناية خاصة وبالمقابل يقف المتلقي يلتقط العلاقات بين الاشياء ، فالخيال المبدع نشاط خلاق لا يهدف ان يكون ما يشكله من صور نسخا أو نقلا لعالم الواقع ، لكن يستهدف اثراء الاحساس ونقل الافكار وتعميق الوعي بالحياة من خلال رؤية شعرية لا تستمد رؤيتها من مجرد الابداع والجدة ، فقد يحقق المبدع غايته وهو يصورأكثر المعاني إلفة وتداولا بين الناس كما فعلت الشواعر العربيات . إن لجوء الشاعرة الى وسائل التصوير الفني – تشبيه واستعارة وكناية – يخدم مضمون شعرها من ناحية ، ومن مقومات الاداء الوظيفي الجمالي للصورة من ناحية أخرى .

وبعد هذا العرض البسيط الذي حاولت فيه ان اوضح مصادر الصورة وعناصرها ووسائلها انتهي الى تحليل هذه المقومات من خلال رؤيتها في سياق – نص شعري متكامل – لمجموعة من شواعر العصر الجاهلي والاسلامي عبرن عن مشاعر نستشف من ورائها نظرة المرأة الى الرجل في الحياة بصورة عامة ، ونظرتها الخاصة بوصفها امرأة لها منزلتها ومكانتها ، وانثى تحب وتعشق الحياة .

تعاني كثيرا من الشواعر الوانا من التجارب وتقفن على حقائق واحدة ، لكن ابداعهن يتجلى في الصورة الكلية التي تضع فيها الحقيقة ، هي ان يبقى الانسان لوحده في هذه الدنيا . يطالعنا انموذج لشاعرة في رثاء زوجها وهي فاطمة الخزاعية التي جعلت من ذلك الفقد مادتها الشعرية ، تقول :

ياعينِ بـكّي عـندَ كـلِّ صـباحِ ... جـودي باربعَـةٍ علـى الجَـرّاحِ
قـدْ كنتَ لي جَبَـلاً الوذُ بـظلّـهِ ... فتركـْتـَني اضحـَى بـاجـرَدَ ضـاحِ
قدْ كـُنتُ ذاتَ حـَمِيـّةٍ ماعـشْتَ لي ... امشي البَرازَ وكنتَ انتَ جـَناحـي
فاليـومَ اخـضعُ للذّليلِ واتـّقـي ... منه وَادفـَـعُ ظالمـي بالـرّاحِ
واغـُضُّ مـِنْ بَصَري واعـلـَمُ انـّهُ ... قـد بَانَ حـَدُّ فـَـوارسي ورِمَاحـي
وإذا دَعـَـتْ قـُمرِيـّةٌ شـَجـَناً لـَها ... يوماً على فـنـَنٍ دعـَوتُ صَـباحي [28]

إن المرأة اتخذت من الشعر وسيلة للبوح عمـّا يجول في صدرها من الآم ومشاعر ، فجسدت مفهوم الحزن والفقد والوحدة ، ثم تصور حالها وما قاسته من أسى بعد وفاة زوجها ، فتستهل ابياتها بالبكاء وتخاطبها بصيغة الامر (جودي) التي وجدت فيها تنفيسا عن مواجعها وحرقتها لتنطلق الى ذكر صفاته فحزنها وبكائها كان بسبب فقد الجبل – دلالة عن العزة والرفعة وعلو المكانة – وهاهي الآن اصبحت مكشوفة للعيان بعد ان كانت في ستر ، فالزوج ستر للمرأة ، عاشت في ظله حميّة شمّ الانف عزيزة في داره وهو جناحها ، وسندها الذي تتقوى به للنهوض . وتنتقل الى تصوير حالها بانها اصبحت تخضع للذليل منكسرة لا معين ولا ناصر لها ، والآن تدفع براحة يديها – دلالة على ضعفها وعدم قدرتها على المواجهات – فهي ذليلة ، وتغض عينيها و تتقي الغرباء وتستدفع الشر خوفا بعد فقد فارسها الشجاع . وفي الختام توظف صوت الحمام الحزين ليذكرها بيوم جديد يدعوها للدعاء بالتصبر والعزاء والسلوى ، فهذا الاستحضار المتجدد في ذاكرة متجددة تكشف عن تمسك الشاعرة بالمشاعر الصادقة المتأججة والدائمة .

جبلا ← سترا ، اضحى اجرد ← لاشيء يقيها ويسترها ، حميّة ← انفة لا تحتمل الضيم

جناحي ← يدي التي اتقوى بها للنهوض ، اخضع للذليل ← لا ناصر لها

ادفع ظالمي بالراح ← وهو الدفع بخفة لاشيء تتقوى به

هذه الكنايات والاستعارات التي عبرت عنها المرأة عكست صورة شعرية جسدت واقع المرأة بعد فقد الزوج، وبناء على هذا فان التصوير في شعر المرأة هي طريقة مبتدعة خاصة حينا وتقليدية أحيانا أخرى لكنها عكست صورا جمالية تتمثل بصدق العاطفة والشعور الوجداني في نقل التجربة الشعورية. قدمت لنا هذه الابيات فكرة أو صورة المرأة ونظرتها الى الحياة ، بعد فقد الزوج فثمة ترابط عضوي بين أبيات هذه المقطوعة يتوضح من خلال الاسترسال في هذه الصور . ولا نغفل حساب التصوير النفسي فالشاعرة تستعرض صورة الحياة وما بعد الحياة ، وتنقل إلينا شعورها كما كانت تحسه في زمن الماضي .. والآن تصور الحقيقة الأليمة – الواقع – كما هو في عينها فاعتمدت اسلوب الموازنة لتعكس شكوتها من الزمان .

ويطالعنا انموذج آخر – في رثاء الزوج ايضا – يجسد حدثا واحدا وانفعالا مشتركا ليس لمصيبة حلـّت باهلها ، انما حلـّت بالانسانية والمسلمين معا ، وهي فقد سيدنا الامام الحسين (**عليه السلام**) ، قالت زوجه الرباب ترثيه :

إنّ الذي كـــانَ نوراً يـُستـضَاءُ به ... بكـــربلاءَ قـَـتيلٌ غـَـيرُ مـَدفـــون

سـبط النـَّبيِّ جـزَاكَ اللهُ صـَالـحةً ... عنـّا وجـُنـِّبتَ خـــُسرانَ الموازين

قد كنتَ لي جـَبـَلاً صـَعباً ألوذُ به ... وكنتَ تـَصـْحـَبُنا بالرُحـمِ والدَين

مــنْ لليتامى ومــنْ للسـائلينَ ومــنْ يــعفــى ويأوي إليه كــلُّ مــسكــين
واللهِ لا أبتــغي صــهراً بــصــهركــمُ حــتى أُغــيَــبَ بينَ الرّملِ والطِّين [29]

يحس المتلقي منذ أول وهلة بما تنطوي عليه الأبيات من عاطفة جياشة تثير المأساة واللوعة والحزن . نتلمس في هذا المعنى التعبير عن الظلمة التي عمت الكون لهذا الحدث الجلل ، وان النور الذي كان يملأ الكون هدى وتقى وورعا واصلاحا وعدلا قد مال الى الغروب ، وهكذا تخلع زوجه الظلام الذي حلّ بهم على الوجود كله ، فالاسى الذي تحمله غمر الكون كله بانقطاع هذا النور هذه الصورة الذهنية التي ترسمها كلوحة فنية وتعرضها للمتلقي ازاء المصيبة التي حلت بالاسلام فهو رحمة وهداية للبشرية . وقولها (غير مدفون) تثير شدة اللوعة والجزع عليه ، فهول المصيبة التي حلت تخلع القلوب وتثير الانفعال والحزن في تصور هذا الموقف على النحو الذي صورته الرباب . وما يزيد الأسى ان هذا القتيل هو سبط النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فتبتهل الى الله ليجزيه افضل جزاء . ثم تنتقل من الفاجعة الكبرى الى فاجعتها الخاصة لبيان المصيبة التي حلت بها حين تنعته بالجبل رمز الشموخ والعزة والاباء وفي تصوير جزعها لفراقه فتثير السؤال من لليتامى ؟ ومن للسائلين ؟ فقد فقدوا صاحب الرحم والدين وتختم أبياتها بقول صادق جميل يعبر عن وفاء المرأة لزوجها فهي لا تبغي صهرا غيره ، ومن أكفأ من مولانا الحسين (عليه السلام) ؟ . وهكذا نرى بوضوح ان الرباب عالجت موضوعا واحدا أو حدثا معينا ظلله انفعال واحد ربط اجزاءه المتلاحقة فبدت ابيات المقطوعة متعلقا بعضها ببعض يكمل احدهما الآخر تكتنفها وحدة موضوعية تعبر عن تجربة شعورية تتسم بصدق العاطفة والشعور فهذه الابيات ذو دلالة جمالية لانها حققت بادواتها الفنية التأثير والانفعال ازاء هذا المصاب العظيم .

الفكرتان واحدة في هذين الأنموذجين (موت الزوج) وان كلا منهما تكاد تقف من الحياة والوجود موقفا متشابها في تلك اللحظة التي صدر فيها هذا الشعر ، لكن يتباين هذا الابداع تباينا واضحا يرجع الى طبيعة المرأة نفسها وقدراتها الفنية ، وموقفها ازاء الحدث . ان العاطفة التي حركتهما واحدة هي عاطفة الحزن ، لكن قيمة العمل الأدبي تتحدد من العلاقة بين توظيف اللغة والتجربة الشعورية وتأثيرهما وامتدادهما عبر الزمن . فالفرق واضحا للعيان استهلت فاطمة بالبكاء حزنا والما واشارت الى سوء حالها وضعفها بعد فــقدِ هذا الجبل الشامخ فــقدْ عبرت عن تجربة شعورية خاصة ، بينما عبرت الرباب عن تجربة شعورية عامة حلت بالامة الاسلامية ونعتته بالشمس التي غابت عن الكون ، وبالجبل الذي يستظل به ، ثم تصور هول المصيبة بانهم فقدوا ذا الرحم والدين والعدل . ونعرض انموذجا لشاعرة الحزن التي اكتسبت قوتها الشعرية المتدفقة من حرارة بكائها والتي صارت مضربا للامثال في رثاء اخيها صخر ، تقول الخنساء :

أعَينَيَّ جُودا ولا تَجمُدا ألا تَبكِيانِ لصخرِ النَّدى
ألا تَبكِيانِ الجريءَ الجميلَ ألا تَبكِيانِ الفتى السَّيِّدا
طويلَ النِّجَادِ رَفيعَ العِمادِ سَادَ عَشيرتَهُ أمرَدَا
إذا القَومُ مَدُّوا بأيدِيهِمِ الى المَجدِ مَدَّ اليهِ يَدَا
فَنالَ الذي فوقَ أيديهِمِ من المجدِ ثُمَّ مَضَى مُصْعِدَا
يُكَلِّفُهُ القَومُ ما عالَهُمْ وإنْ كانَ اصغَرَهُم مَولِدا
ترى المجدَ يَهوي إلى بيتِهِ يرى افضلَ الكَسبِ انْ يُحْمَدَا
وإن ذُكِرَ المجدُ ألفيتَهُ تأزَّرَ بالمجدِ ثمّ ارتدى [30]

تخاطب الخنساء عينيها ان تذرف الدموع من دون انقطاع ، فالتجمد هو جفاف الدمع من العين ، كأنما هذا الفعل صار أليفا لها ومسليا لوحدتها وحزنها ، وتحثهما على البكاء على صخر الندى . لقد تمكنت الشاعرة من براعة تصويرها من الجمع بين دلالاتين موحدتين (جود عينيها ، وصخر الندى) ، فالقرينة هي العطاء بلا حدود سواء أ بالدموع كانت أم بالبذل والسخاء لفعل الممدوح ، لكي تؤكد ان المأساة مراتب واعلاها الجود ، فقد وقفت بين شيئين منذ بدء حديثها جود الدموع التي لا تتوقف ، والندى – كثير العطاء – (الأخ) ، فالجود من المراتب الخلقية الرصينة وسمة رفيعة في النفوس فكثرة دموعها يقابلها جود صخر الكثير ، أي انها تستهل كلامها بصورة نفسية تعبر عن الاسى من فقد هذا الاخ والسيد الرشيد ، ثم تنتقل في حديثها الى بيان صفاته الخَلقية والخُلقية من سيادة وعزة فتشير الى الخصال الكريمة التي تدل على علو النفس الانسانية وتعاليها ؛ لذا فخرت الشاعرة " بمحامد اخوتها الاحياء منهم والاموات واقاربها الذكور وزوجها وبكلمة موجزة فخرت بجميع الذين يوفرون لها الرفعة تجاه الغرباء " [31] .

وتوظف الشاعرة اسلوب التكرار (ألا تبكيان) في حث عينيها على البكاء ، إذ له خصيصية جوهرية في الشعر والغاية من توظيفه هو التأكيد على فداحة الأمر وتعلق الشاعرة باخيها الذي رحل عنها ، وردّ على عدم توقف حزنها وجفاف دموعها وجمودها . فضلا عن تعداد محامد اخيها موظفة اسلوب الكناية فهو (طويل النجاد ، رفيع العماد) دلالة عن الشجاعة والعزة والرفعة . وتعمد الى المجاز في تشخيص المجد في صورة لمسية حسية كأنه حبل يرتقون به اسباب الظفر. تحاول الخنساء ابراز اخيها وتفوقه على أقرانه في نيل أعلى مراتب الشرف . وتتداخل الصور البصرية من خلال الافعال (ترى ، يهوي ، يرى) فالرؤية تتحقق بالاشياء المادية والشاعرة هنا استعارت الرؤية المعنوية (المجد) وتشخيصه صفة من صفات اخيها ، فهذا الحزن ليس على الشخص نفسه فحسب ، انما لكونه مصدرا ورمزا لمجد الاسرة والقبيلة ، وقد انهار هذا المجد بموته وقد عبرت الشاعرة عن

هذا المعنى صراحة وضمنا . وتختم صورها بصورة لمسية اخرى من خلال الفعل (ارتدى) فاستعارت المجد للثوب الذي يلبس ، وليس رداء أجمل للرجل من المجد دلالة على علو المنزلة والمكانة المعنوية . وظفت الشاعرة الصور الحسية بدلالات معنوية تعكس جماليات الصورة الشعرية عن طريق التركيبات الاستعارية المكثفة بالايحاء وعمق الدلالة كتبتها بشعور صادق وبتوافق تام بين الفكر والاحساس والجزء والكل بنمطيها الحسي والذهني معبرة عمـّا يختلج نفسها وما تكنه في قلبها اعطت للشعر قيمة فنية وجمالية .

وتستلهم الشاعرة شاعريتها من تجربتها الذاتية ، فتصور الآمها في حلة فنية متميزة ، وشعرها عبارة عن صور واقعية تضم اشارات عديدة الى ان من اغترّ بهذه الدنيا وجعلها اكبر همه لابد ان يناله شيء من صروفها ، ويطالعنا انموذج في خمسة عشر بيتا لشاعرة من شواعر هذيل ترثي أخاها وتظهر حزنها ولوعتها اثر هذا الفراق ليس بالبكاء والدموع كما كان شائعا عند الخنساء ، لكن بالتصبر والحكمة ، تقول :

كـلُّ امرىءٍ بطـَوَال العيشِ مكذوبُ وكـلُّ مَـنْ غـَالـبَ الايامَ مـَغلـوبُ
وكـلُّ مـَنْ حجَّ بيـتَ اللهِ من رَجـُلٍ مـودٍ فـَمـُدركـُهُ الشـُّبـَّانُ والشيـبُ
وكـلُّ حيٍّ وإنْ طَالتْ سـَلامـَتـُهـم يوما طـَريقـُهـمُ في الشرِّ دُعْبـُوبُ

.....

ابلـغْ بـَني كاهـلٍ عنـّي مـُغـَلغـَلةً والقـومُ من دونـِهم سـَعيا ومـَركوبُ
أبلـغْ هـُذيلاً وأبـلـغْ منْ يـُبـَلـِّغها عني حـَديثاً وبعـضُ القولِ تكـذيـبُ
بأنَّ ذا الكـَلبِ عـَمْرَاً خـَيرهُم حَسـباً ببطنِ شريانِ يـعـوي عـندهُ الذّيبُ
الطاعـنُ الطـّعنة النـّجلاءَ يـَتبَعُها مثـْعَنجـِرٌ من دماء الجـوفِ أُثعُـوبُ
والتاركُ القـرنَ مـُصفـرّاً أنامـلُهُ كأنه مـن نـقيـع الجوفِ مـخضوبُ
تمـشي النـُّسـورُ إليه وهي لاهيةٌ مـَشي العَـذارى عليهـنَّ الجـلابيبُ
المـُخرِجُ الكاعـبُ الحسناءَ مُذعـنةً في السـّبي يَنفـَحُ من أردَانها الطيبُ [32]

تبدأ الشاعرة قولها بابيات من الحكمة تعزي بها نفسها فلم تلجأ الى البكاء والنواح على الفقيد وهذه ميزة عند بعض الشاعرات للتصبر والرضا بالقضاء الذي حلّ بهم فتجسد نظرتها الى الحياة في ان الانسان مهما عاش لا يطول عمره وان القضاء مود بالكبار والصغار ، فهذه الايام لا تبقى على حالها ولا تدوم لأي شخص وان طالت سلامته . فبينما الانسان راضٍ بعيشه لابد ان يناله شيء من شرور الدنيا وبلائها فتقصر خطاه وتقيده بنكباتها ، ثم تنتقل الى لوحة فنية أخرى توظف اسلوب الامر (ابلغ) الذي يبين اثر هذا الحزن ليس عليها فحسب بل هو الامر الجلل الذي اصاب قومها بعد سقوط

هذه القمة الشامخة الذي كان يتكفل الجياع والصغار فهذه الصورة التعبيرية كلوحة رسم يعرضها فنان يرسم قمة شامخة تحمل اشجارا وصغار النحل استعارت الشاعرة هذه الصورة البصرية بصورة اخرى عكستها بصورة ذهنية ذي دلالات معنوية تبين حال قومها بعد فقد هذا الرجل العظيم كالقمة الشامخة . وتنقل بعد هذا البلاغ لعرض مزايا وصفات الممدوح بالحسب الرفيع والشجاعة والهيبة والوقار وحامي الظعينة والذمار .

تتباين الصور وتختلف حسب توظيفها بالنص الشعري ، تسبغ جمالها المادي (الحسي) والمعنوي (الذهني) الاخلاقي . وظفت الشاعرة فيها مجموعة من الاساليب البلاغية التعبيرية لوقعها التأثيري في المتلقي ، ومنها اسلوب التكرار اولا لتأكيد المعنى في السامع ولتقرير حقيقة مصيرية عامة من خلال لفظة (كل) كما جاء في مقدمة ابياتها ، ثم تنتقل الى اسلوب الخطاب والتكرار فتوظف لفظة (ابلغ) للوصول الى غاية الشيء وتحقيقه وتقريره للسامع وتخصيصه في تصوير الفارس الهمام مستوفية عناصرها من الحياة الاجتماعية الحربية بوصفها مصدرا من مصادر الصورة الشعرية وقد استعارت للقوة بـــ (الطعنة النجلاء) استمدت صورتها من صفة العيون الواسعة ، لكن ما ارادت التعبير عنه إن طعنة اخيها كبيرة وواسعة يسيل الدم منها سيلانا . وتتلاحق الصور الحسية البصرية في هذه اللوحة الشعرية فتعمد الى اسلوب التشبيه في بيان موضع القوة . كما ان للون دلالته في التعبير الشعري منطلقة من موقف شجاعته امام الخصم فيترك غريمه صريعا مصفرة أنامله كانها مخضبة بنقع الجوف . ونظرا لطبيعة الحياة التي عاشتها المرأة والتي كانت من متطلباتها القوة والعزة والهيبة ترسم له صورة بصرية حسية مستوحاة من طابع الحياة ، فتتوسم في اخيها علامات المجد والسؤدد كما في قولها :

تمشي النسور، مشي العذارى ⟵ دلالة على بطء الحركة واتزانها

وهي لاهية ، عليهن الجلابيب ⟵ دلالة على العزة والمنعة والرخاء والامان

ماالذي دفع الشاعرة الى هذا الوصف الجميل في تصوير اخيها أ هي بطء الحركة أم صفتها ؟، وربما يكون الجامع المعنيين معا صفة القوة والمنعة والخضوع ، اي ان نساء قومه عزيزات يعشن في رخاء ونعمة وامان لايذعرهن شيء ، كما ان النسر من صفاته القوة والشموخ .

وترسم في لوحتها الأخيرة موقف الرجل من المرأة في معرض حديثها عن الشجاعة والرفعة ، فهم يغيرون على نسائهم ويحافظون عليهن ، اذا وقعن في السبي فتوظف اسلوب الكناية في قولها (الكاعب الحسناء) و (اردانها الطيب) ، أي انهن فتيات بالغات ويعشن في نعمة ورخاء.

فالصور كما نلاحظ ما تزال موضوعا مخصوصا بالمدح ، فجمالية التعبير تكمن في قدرة المتلقي على رسم الصورة في مخيلته وتأثيرها في نفسيته فإذا تحقق الرسم والتأثير بوساطة الخيال نحكم على جماليتها .

ومما تجدر الاشارة إليه ان الشاعرة قد تتجاوز المألوف احيانا فتكشف عن تجربة عاطفية يتضح من خلالها عمق المشاعر وصدقها في التعبير عن مكنونات نفسها ، تسهم في بناء صورة تعبر فيها عن خيالها ، وتوحي بمشاعرها وانفعالاتها ، وتوظف الشاعرة هنا ضمير (الأنا) لتعطي نوعا من العلاقة الحميمية بينها وبين المتلقي ، ولتبدي التفوق والتميز عن اقرانها في العشق والهوى ، تقول عشرقة المحاربية بعدما استّت تذكر ماضي أيامها :

جَريتُ مع العـُشـّاق في حَلَـبَةِ الهـوى فـَفقـْتـُهم سَبقا وجـئتُ على رسلي
تـَسَرْبلتُ ثـَـوبَ الحُبِّ مُذ أنا يافعٌ ومُتـّعـتُ مـنه بالصـُّدودِ وبالوصلِ
فما لَبسَ العُشـّاقُ من حُـلـَلِ الهوى ولا خَلـَعُـوا إلا الثـّيابَ التي أُبلي
ولا شـَربوا كأساً منَ الحُبِّ مُـرّةً ولا حُـلوةً إلا شَـرابُهـُمُ فـضلي [33]

تصور الشاعرة نفسها كأنها في سباق مع العشاق في حلبة الهوى ، فتفوقت عليهم لانها ارتدت ثوب الحب في حديث سنها ، وذاقت حرارة الوصل والهجر ، فكل من أحب بعدها تعلم منها وذاقوا حلاوته ومرارته . تجسد الشاعرة صورها بالفاظ وتعابير رقيقة موحية وذي دلالات مؤثرة تبعث في المتلقي المشاركة والانفعال للحدث ، فترتبط الصورة بالخيال ارتباطا وثيقا فبوساطة فاعليته ونشاطه تنفذ الصورة الى مخيلة المتلقي ، فتنطبع فيه ناقلة احساسها تجاه الاحداث وانفعالها بها وتفاعلها معها . جمالية الصورة تنبع من هذا التأثير السحري في النفس ، أو هي عملية وجدانية تشترك فيها الشاعرة والمتلقي ازاء حدث واحد مؤثر باساليب بلاغية وظفتها في خدمة السياق النصي من خلال وسائل فنية ، مثل التضاد (الصدود والوصل) ، (مرّة وحلوة) ، (لبس وخلع) فهي تعمد الى المقابلة بين الماضي والحاضر في تصوير حالها فيما كانت وما اصبحت عليه الآن .

ومقطوعتها الشعرية تجسد حدثا واحدا في لوحة فنية متعددة الصور منها الصورة السمعية (جريت ، جئت) التي توحي بحث الخطى والاسراع للفوز في سباق الحب فهي ترسم صورة مستوحاة من واقع الحياة في سرعة الجري ، والراحة النفسية بعد لذة السباق . ونلاحظ ما يشع به السياق من ايحاءات السرعة وخفة الحركة ومشي الهوينا ، وفي ترديد صوت الجيم في الفعلين من صورة صوتية ترينا وتسمعنا وقع الحركة وتأثيرها . ثم تطلعنا الصورة اللمسية على نواح جمالية لاتستطيع العين وحدها ان تطلعنا عليها ، مثل النعومة والملامسة ، فقد ابدعت الشاعرة في تصوير ما يشغف قلبها من الحب كأنه رداء تزينت وتجملت به، وهو ثوب الحب فجعلت (الحب) – احساس روحي (صورة

ذهنية) – مستوحية من (الثوب) – صورة حسية – وأي ثوب ؟ اجمل ثيابها . وبحاسة اللمس (لبس العشاق) ندرك رقة احساسها حين يلامس الثوب الجديد جسدها دلالة على ملامسة الحب قلبها ، أما خلعه عن جسدها واعطته لغيرها فدلالة على انها اهدت اليهم وأنارت لهم طريق الحب – الحياة ــ . واما الصورة الذوقية (شربوا كأسا من الحب) فكانت في تصوير تاثير الشراب في النفس – شراب الحب – دلالة على ان كل من جاء بعدها ذاق من كأسها – شرب الهوى وارتوى منه – (الحب) .

تآزرت مجموعة من الحواس في تصوير هذه اللوحة الجميلة ، فبعين الخيال وتأثيره في المتلقي نعشق الحياة ونرتمي في احضان الحب .

تمتلك المرأة قوة مختبئة بين القوافي فتفجرها لوعة ولهفة ليس من هجر حبيب أو فقد عزيز، انما شوقا وحنيناً الى ديار اهلها وقومها الذين رحلت عنهم وغادرتهم ، وجعلت من ذلك البعد مادتها الشعرية ، تقول اسماء المرية :

أيا جَبلي نَعمانَ بالله خَليّا نَسيمَ الصَّبا يَخلُصُ إليَّ نَسيمُها
فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنفَّستْ على قلبٍ مَحزونٍ تَجلّتْ هُمومُها
أجِدْ بَرْدَها أوتَشفِ مني حرارةً على كبدٍ لم يبقَ إلا صَميمُها
أيا جَبلَيْ وادي عُرَيْعَرةَ التي نأت عن نوى قومٍ وهُمَّ قُدُومُها
ألا خلّيا مَجرى الجَنوبِ لعله يُداوي فُؤادي من جَواه نَسيمها
وكيف تُداوي الرّيحُ شَوقاً مُماطَلاً وعَيناً طويلاً بالدموع سُجُومُها
وقولا لرُكبانٍ تَميميّةٍ غَدتْ إلى البيتِ ترجو أن تُحَطَّ جُرُومُها
بإنَّ بأكنافِ الرُّغامِ غَريبةً مُولَّهةً ثكلى طويلاً نَئيمُها
مُقطّعةً أحشاؤها من جوى الهوى وتبريح شَوْقٍ عاكفٍ ما يَريمُها [34]

تشدو الابيات بالحان عذبة تطرب بها اسماعنا وتثير في وجداننا أثر الغربة والرحيل عن الأوطان حيث الاهل والاحبة فتصف لوعة الاشتياق الى ديارها ونسيم هواها ، فتأخذك منها اللهفة الصادقة النابعة من قلب مشغوف بارض نجد ، وقد تبهرنا بساطة التعبير ومقدرتها الفنية على اثارة انفعال المتلقي والتأثير به بما تمتلك الشاعرة من طاقة شعورية استطاعت ان تقف امام تجربة حية لانسان يؤرقه فراق الاهل ، فيدرك المتلقي ان سر جمالها وروعتها لا يكمن في الصور الموحية المعبرة التي تثير مثل هذا الموقف الانساني فيتعايشه بوجدانه ، لكن من خلال نظرتها الى الحياة الجديدة وفكرتها عنها على الرغم مما افاضت به من مشاعر الحنان والشوق .

استهلت الشاعرة ابياتها بالنداء لرفع صوتها وتنبيه المنادى وحمله على الاصغاء ، لكن الشاعرة تتجاوز المألوف فتنادي غير العاقل لتبوح له بمكنونات نفسها أو لتطلب منه ان يجيب نداءها

لكنه جبل أصم يحيل عنها (صبا نجد) متنفسها عن الهم الذي يملأ قلبها ويشفي حرارة كبدها . وفي تكرار النداء (أيا جبلي) دلالة على زيادة التنبيه – ليته يجيب النداء– وتستعين بالصور الذهنية في البناء التصويري الذي يعبر عن خيال الشاعرة ويوحي بمشاعرها وانفعالاتها فجعلت (الريح دواء ومرهما لشوقها ودموع عينيها) . وتستعرض حالها وما قاسته بسبب هذا البعد من اللوعة والحسرة التي جرت عليها فتستعين من معجمها الخاص أحوال الانثى وما قاسته بسبب هذا الفراق ، فهي (غريبة ، مولهة ، وثكلى) فالحنين عند الشاعرة هو الحياة وفقده يعني الموت . وتختم حديثها بصور ة بصرية وهو فعل التقطيع لكنه لدواخل نفسها واحاسيسها دلالة على التفريق والتمزيق والوحدة من البعد.

وللمراة دور في ترسيخ مفاهيم وقيم اجماعية (حسن الجوار والإجارة) ، فقد بلغ من عز المرأة انها كانت تجير كما يجير الرجل . وسجل لنا التاريخ لنساء كانت سيدة ورئيسة في مثل هذه المواقف [35] . ونجدها في مواقف أخرى تدعو دعوة انسانية لحماية من استجارت بها ، فالشاعرة صفية بنت ثعلبة الشيبانية اجارت الحرقة بنت النعمان واعلنت هذه الاجارة امام قومها من جيوش كسرى في ابيات شعرية كان لها صدى مؤثر في قومها والقبائل الأخرى في الوقوف قوة واحدة لمجابهة الخطر ، تقول :

أحيوا الجـوارَ فـقـد أماتـَتـْهُ معـاً كـلُّ الأعـارِب يابنـي شَـيبـانِ
مالعـُذرُ ؟ قد لفـّتْ ثيـابي حـُرّةً مَغـروسَـةً في الدُّرِ والمَـرجانِ
بنتُ الملوكِ ذَوي الممالكِ والعـُلى ذاتُ الحـِجالِ وصفـوةُ النـُّعمانِ

.....

وعلى الأكاسرِ قد أجرتُ لحـُرّةٍ بكـهـُولِ مـَعْشَـرِنا وبالشـُبّـانِ
شيبانُ قومـي هلْ قـَبيلٌ مثلـُهُم ؟ عنـد الكـفـاحِ وكـَرّةِ الفرسانِ

.....

قومٌ يـُجيرونَ اللهيـفَ مِـنَ العِـدا ويُحاطُ عمري مِنْ صـُروفِ زماني
تـَرِدُ الهـياجَ بنـو أبي لا تتـَّقـى مَسـطـى العدوِ وصـولةَ الأقرانِ
إنـّي حـُجـَيجَيةُ وائلٍ وبـوائـلٍ ينجـو الطـَّريدُ بـشطبةٍ وحصَانِ
يآلَ شـيبـانٍ ظـَفـِرتُمْ في الدُّنا بالفـخـرِ والمعـروفِ والإحسانِ [36]

اتخذت الشاعرة اسلوب النداء لتجسد هذا الموقف الانساني الذي لا يكاد يخلو من تعابير ودلالات نفسية مؤثرة ، صوّر قوة انفعال الشاعرة وتعبيرها عن ذاتها بوصفها فردا ومن ناحية اخرى فردا من افراد المجتمع تقع عليها مسؤوليات وواجبات ، اتخذت من ضمير (الأنا والنحن) وسيلة

فنية لتعداد مفاخرها ومفاخر قومها باسلوب خطابي مباشر تحاول قول الاشياء بوضوح وتعنيها ان يصل صوتها الى الآخر ، فتبرز الآنا في شعرها عالية النبرة بما تتضمن من صور وتعابير تبعث في النفس الابداع والافتخار بالذات وهذا الجانب كانت تفتقر اليه المرأة في البوح عن نفسها فاغلب شعرها كان موجه الى آخر . أما الحجيجة فأبدعت في رسم صورة عبرت بها عن قوّة شخصية المرأة ومكانتها في قبيلتها ، فوظفت مجموعة من الصور البلاغية اسبغت جمالية في التعبير والتأثير في المتلقي ، منها (لفــّت ثيابي حرة) كناية عن الاجارة وبانها امرأة عزيزة منيعة في قومها ، و (مغروسة في الدر والمرجان) كناية عن انها صاحبة جاه ومترفة في النعيم . وتجسد في خطابها الدعوة الى الاستنصار ثم بيان منزلة المجيرة في البيتين الثاني والثالث كناية عن انها بنت ملوك . وتوظف اسلوب الاستفهام في الدعوة الى الحرب فقومها دائما وابدا على أتم استعداد للمؤازرة والنصر . وفي توظيف اسلوب التضاد (الكهول الشبان) تجسيد لمفهوم الوحدة والتكاتف بين ابناء القبيلة جميعا فترسم صورا عن شجاعة قومها وشدة باسهم في الحرب . واستعارت لفظة الحصان دلالة على القوة والجرأة في الحرب .

ترسم لنا هذه الابيات صورة جديدة للمرأة عبرت عن تجربة ذاتية حين ارتفع صوتها واشادت بنفسها وبمكانتها العالية ، فكانت ذا رأي وحزم وسيدة موقف ؛ لذا كان واقع الحياة العربية مصدرا تمتاح الشاعرة من مظاهره المتعددة صورا خارجية صارت افكار ذاتية لها عززت مفهوم القوة من خلال الانتماء القبلي .

الخاتمـــــــــــــة

أبرز النتائج التي توصل اليها بحثنا ، هي كما يأتي :

1- شعر المرأة اغلبه ذاتي يعبر عن وقائع حقيقية عاشتها الشاعرة بدوافع اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية .

2- إنَّ شعر المرأة تعبير عن الحياة التي يحيونها أجمل تعبير وأصدقه في نقل الوقائع بلغة شعرية مؤثرة ، تنأى عن التكلف والتصنع في تجسيد التجربة الحية ، فشعر المرأة " شعر تجربة " لاحداث ملموسة أثرت في نفسيتها ، فانتجت شعرا صادقا نابعا من اعماقها دفعتها العاطفة الحادة الى انتقاء الفاظها من معجمها الخاص ومن طابع حياتها ، التي اخذت مكانها في التعبير الحي الذي يجري مع الطبيعة .

3- انصهار الذات في بودقة الجماعة ، فاغلب شعرها موجه الى آخر ، (الزوج ، والاخ ، والاب) وبكلمة موجزة فخرت بكل الذين يوفرون لها الحماية والعزة والرفعة .

4- اهتمت الشاعرة اهتماما كبيرا بالصورة الشعرية بما تحمله من جماليات في النص ، وتوضيح للفكرة ، والتحليق في عالم الخيال لتقديم المعنى بثوب جديد يخدم قضيتها .

5- كشفت النصوص الشعرية عن مقياس الجمال في شعر الشواعر الذي لا يرجع الى ما فيها من صور بيانية فحسب ، انما الى ما فيها من أفكار وإشارات اقتبستها من واقع حياتها .

6- قدرتها على تصوير الاشياء كما هي ، إذ تتداخل الصور البيانية وتتآزر في ابرازالمعاني وتوظيفها في خدمة النص الشعري ليكتسب الكلام روعة وجمالاً ، فإذا تحقق الرسم والتأثير بوساطة الخيال نحكم على جماليتها .

7- استطاعت المرأة بادواتها الفنية البسيطة ان تثير عواطفنا ، فجاءت صورها متوافقة مع الحوار العاطفي، وكذلك مع بنيتها الشعرية – المقطعات – ، لتحقيق الاستجابة وخلق حالة من الشعور المتبادل .

8- تعددت الصورة مابين الحسية (البصرية والسمعية والذوقية واللمسية) ، والذهنية لتحقيق حالة من الانسجام والتشابه بين الاشياء التي تبدو متنافرة ، كل حسب دلالته ومعناه في السياق النصي .

هوامش البحث

[1]- الصورة والبناء الشعري ، محمد عبدالله حسن : 234

[2]- ينظر :الصورة في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور: 9 ،والصورة في الشعر العربي ، علي البطل: 30

[3]- الصورة في التشكيل الشعري تفسير بنيوي ، سمير الدليمي : 63

[4]- بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير : 286

[5]- النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال : 442

[6]- وظيفة الأدب ، محمد النويهي : 15

[7]- مطلع القصيدة ودلالته النفسية ، عبد الحليم حفني : 208

[8]- شرح ديوان الخنساء (بالاضافة الى مراثي ستين شاعرة) : 97

[9]- شاعرات العرب ، بشير يموت : 125

[10]- شرح ديوان الخنساء : 4

[11]- شاعرات العرب ، بشير يموت : 18

[12]- بلاغات النساء ، ابن طيفور : 45

[13]- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 143

[14]- شاعرات العرب ، بشير يموت : 42

[15]- شرح ديوان الخنساء (بالاضافة الى مراثي ستين شاعرة) : 142

[16]- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور : 18

[17]- الصورة الشعرية ، سي دي لويس : 73

[18]- وظيفة الأدب ، محمد النويهي : 63

[19]- شرح ديوان الخنساء : 27 ، وشاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 102

[20]- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 187

[21]- النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال : 376

[22]- الصورة الشعرية ، سي دي لويس : 23

[23]- المصدر نفسه : 44

[24]- المجمل في فلسفة الفن ، : 55

[25]- شاعرات العرب ، بشير يموت : 184 ، وينظر : شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 29 – 30
[26]- الصورة الشعرية ، سي دي لويس : 21
[27]- في الشعرية ، كمال ابو ديب : 133
[28]- شرح ديوان الخنساء (بالاضافة الى مراثي ستين شاعرة من شواعر العرب) : 175
ارادت بالاربعة قبائل الراس ، او جوانب العين الموقين واللحاظين ، الاجرد : الاملس ،الضاحي :البارز للشمس ،البراز: الفضاء من الارض لايستره شيء ،انت جناحي : اي يدي وما اتقوى به
[29]- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 128 ، يعفى : يطلب معروفه
[30]- شرح ديوان الخنساء : 15
[31]- تاريخ الادب العربي ، بلاشير : 2/ 289
[32]- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 50 – 51
[33]- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 246
[34]- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 8
عريعرة ، نخل لبني ربيعة ، جرومها : الذنب ، النئيم : الصوت الضعيف الخفي أيا كان
[35]- ينظر : اخبار النساء ، ابن قيم الجوزية : 133
[36]- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر : 189

المصـــــــــــادر

1- أخبار النساء ، ابن قيم الجوزية (ت 715 هـ) ، شرح وتحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1964 .
2- بلاغات النساء ، ابن طيفور (ت 280 هـ) ، دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان ، 1972 .
3- بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، بغداد ، 1987 .
4- تاريخ الأدب العربي (منذ نشوئه حتى اواخر القرن الخامس عشرالميلادي) ، بلاشير ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، 1964 .
5- شاعرات العرب ، عبد البديع صقر ، ط1 ، منشورات المكتب الاسلامي ، الدوحة ، 1967 .
6- شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، بشير يموت ، ط1 ، المطبعة الوطنية ، بيروت ، 1934 .
7- شرح ديوان الخنساء (بالاضافة الى مراثي ستين شاعرة) ، دار التراث ، بيروت ، 1968 .
8- الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي واخرون ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، 1982 .
9- الصورة في التراث النقدي والبلاغي ، احمد جابر عصفور ، دار الثقافة والنشر ، القاهرة ، 1974 .
10- الصورة في التشكيل الشعري تفسير بنيوي ، سمير علي الدليمي ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 .
11- الصورة في الشعر العربي (حتى آخر القرن الثاني للهجرة)، علي البطل ، ط2 ، دار الاندلس للطباعة ، بيروت ، 1981 .
12- الصورة والبناء الشعري ، محمد حسن عبدالله ، دار المعارف القاهرة ، 1981 .
13- في الشعرية ، كمال ابو ديب ، ط1 ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، 1987 .
14- المجمل في فلسفة الفن ، بند توكروتشه ، ترجمة سامي الدروبي ، ط1 ، دار الفكر العربي ، 1947 .
15- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987 .
16- النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973 .
17- وظيفة الأدب ، محمد النويهي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1967 .

Abstract

Aesthetic image of the Arab woman poet

The feature of the poetic woman proof of its presence in the arena of Arabic poetry, and on the ability of art in the words of poetry, God-given to members of the slaves, the Arabs are a nation - men and women - known poetry is an art excelled and surpassed it .

The poet is a world rich with images that ripple movement by word, symbol, rhythm, which in turn depends on the imagination in terms of words ,meanings shipped a new connotations, poignant, eloquent purports to discover new relationships and a sense of feeling aware .

The search is in the aesthetics of poetry reflect the taste of a high literary Arabic poem in Her interact with these methods and their relationship diagrams very creative and try to link them emotional and psychological feelings and attitudes of women. Lies the beauty of the image when it is the poet overcome innate nature Arab life values and ideals, he felt a printed distance for workmanship and affectation, however, were the best expression expressive meaning .

We discussed this attempt to discover the aesthetic elements when the poet Arabic when directed her poetry in two parts, the section describing the man's description of moral when he made his image is an example of beauty, moral, and another section revealed the woman aside from her own life, it has derived its ideas and meanings of the character of your images with gestures expressive of the nature of the woman herself.

Has inspired women's sources of images of Arab Environment influenced by their environment the most influence on the quote these meanings and ideas in words and structures represented in images of nature silent and mobile . The pictures came kinds and colors, including, sensory and mental, which is based on modeling, diagnosis and metaphor and allegory and metaphor. Paint color and shadow, motion, sound, touch, sight, and may be partial and may be integrated poet draws its content from the content of the humanitarian, and religious content.

So poetic image - Expressionism - an interpreter honest and accurate about what is going on in the depths of the poet of longing thoughts and highlights the new look is authentic familiar and palatable impressive.